صغار فنلندا

لوحة عيد ميلاديّة في فصل واحد

بقلم: إ. نيرفاندر

تعريب

صهيب إسماعيل أحمد
(صهيب هرتز)

الأستاذ محمد أبو خليل محروس
(محمد محروس)

دار صهيب هرتز للنشر

suhaib2018078@science.sohag.edu.eg

muhamedabukhalilae@gmail.com

معرف أوركيد: https://orcid.org/0009-0009-6904-2827

المُعرِّف الدولي الموحد: https://isni.org/isni/0000000530269139

بسم الله الرحمن الرحيم

إنها الغاية الأسمى من نقل هذا العمل إلى لسان العرب، ليست مجرد نقلٍ آلي للكلمات، بل محاولة جادة لرفد لغتنا العربية بما تجده في عوالم الفكر والمعرفة الرائعة، وإثراء مكتبتها بما يليق بمكانتها التاريخية والحضارية.

تتشرف **دار صهيب هرتز للنشر**، بقيادة مديرها العام الأستاذ **صهيب اسماعيل أحمد** (الشهير بـ صهيب هرتز)، ومديرها التنفيذي الأستاذ **محمد أبو خليل محروس** (الشهير بـ محمد محروس)، بأن تضع بين يدي القارئ العربي هذا العمل المترجم.

ودرءاً لأي لبس، تؤكد الدار أن المترجم قد اضطلع في هذا العمل بدور الناقل الأمين للمحتوى. لذا، فإن نشر هذا الكتاب لا يعني بالضرورة تبني الدار أو المترجم للأفكار الواردة فيه. فالمسؤولية عمَّا ورد في النص تقع على مؤلفه الأصلي وحده.

معلومات الترجمة

المترجمون: صهيب إسماعيل أحمد (صهيب هرتز)
محمد أبو خليل محروس (محمد محروس)

البريد الإلكتروني: suhaib2018078@science.sohag.edu.eg
muhamedabukhalilae@gmail.com

معرف أوركيد: https://orcid.org/0009-0009-6904-2827

المُعرِّف الدولي (ISNI): https://isni.org/isni/0000000530269139

معرف ويكي بيانات: https://www.wikidata.org/wiki/Q89192873

معلومات النص الأصلي

العنوان الأصلي: Joulukuvaelma 1:ssä näytöksessä :Finlandês

المؤلف: إ. نيرفاندر

تاريخ العرض الأول: 4 يناير 1880، على خشبة المسرح الفنلندي في هلسنكي

الناشر الأصلي: أو. دبليو. تيلين وشركاه، كوبيو، 1902.

شخوص المسرحية

إدفارد فون بيرغ، مستشار الدولة، من بطرسبرغ.

هورتنس، ابنته.

ياكو بيرغ، القسيس، شقيقه.

زوجة القسيس.

توبني .... | أبناؤهما.

ألبرت، الملازم | أبناؤهما.

إدفين، الطالب الجامعي. | أبناؤهما.

لوتّا، الخادمة المؤتمنة في عائلة بيرغ.

نادينكا، وصيفة هورتنس.

تدور الأحداث في أحد بيوت القساوسة بإقليم هامه، في ليلة عشية عيد الميلاد، في أيامنا هذه. المنظر: صالون بيت القسيس، بأثاث بسيط لكنه مبهج. باب في العمق وأبواب جانبية. بيانو. شجرة عيد ميلاد لم تُضاء بعد، في ركن الصالون بالخلف.

المشهد الأول

عند ارتفاع الستار، تجلس هورتنس، بثوب على آخر طراز، منكمشة في ركن الأريكة. إلى جوارها، تدبّ توبني عند المنضدة، تلفّ هدايا العيد في أوراق. ترتدي ثوباً في غاية البساطة، لكنه أنيق.

هورتنس: وبعد؟

توبني: بعدها، يا عزيزتي هورتنس، تنقضي ليلة العيد، ومن ينال النعاس عينيه بعد بهجة السهرة، يغفو قليلاً كي يغادر باكراً في الصباح حوالي الساعة السادسة إلى كنيسة العيد. — ها قد انتهيت، والآن فقط أكتب العنوان هنا. (تكتب:)

«إلى سموّ مقامها، زينة بيت القسيس وبهجته وشرفه، إلى السيدة زوجة القسيس ذاتها.»

هورتنس: ولكن، يا تويني الصغيرة، ألا يليق أن تكتبي لأمك هكذا؟

تويني: آه، أنت لا تعرفين أمّي الحبيبة! كم ستضحك حين تقرأ هذا. تصوري، قبل عامين كان هنا كاتب محكمة عجوز ظريف، كان دوماً ينادي أمي بـ«سموّ مقامها». لن تصدقي كم كان ذلك يضحكنا جميعاً. والآن بيت من الشعر، فيصبح هدية العيد هذه تامةً تماماً.

هورتنس: أتكتبين الشعر؟ ما كنتُ لأصدق.

تويني: بالطبع! لكنه، كما ترين، من هذا القبيل. وأستعير قليلاً من ذاكرتي أيضاً، إن جاز. فلنرَ ما الذي سيخرج الآن. (تتأمل.)

هورتنس: ولكن، يا للهول، كيف يمكن أن يُكتب الشعر على غطاء إبريق القهوة؟ أليس هذا ما في اللفافة هناك؟

تويني: بلى! أدفأ معطف صغير، تطلّ منه أجمل وجوه البنات، كما يطلّ فرخ العصفور من عشه. ها هي! (تكتب:)

مدام فوليت — —

هورتنس: مدام فوليت؟ — —

تويني: هذا اسم إبريق القهوة، أرأيتِ؟ ألم تقرئي فريدريكا بريمر؟ (تتابع الكتابة:)

مدام فوليت العجوز،
تزدان ثيابها،
فهي أرملة شابّة،
لعلها تنال زوجاً بعد!

هورتنس: (تنفجر ضاحكة.) لكن، تويني، فيمَ تفكرين؟

تويني: «ما كتبته، فقد كتبته». كم يبدو هذا ظريفاً. هيّا، إلى الأمام. (تكتب:)

لا، تحت الرداء الجديد

قلبك عتيقٌ باقٍ،
أنتِ، معرفةُ الأهل،
تبقين حتى الممات!

هورتنس: (لا تزال تضحك.) كم أنت طفولية، يا توني! ومع ذلك فأنت في مثل عمري.

توني: أتعلمين، يا هورتنس، في ليلة العيد ينبغي للمرء أن يكون طليقاً طليقاً. أتريدين الآن، يا هورتنس الطيبة، أن تساعديني في وضع هذه الصورة في العلبة المملوءة بنشارة الخشب؟ لكن، هل لديكِ وقت؟ لقد قلتِ إنك أحضرتِ بنفسك هدايا عيد للأخوات الصغيرات.

هورتنس: تركتُها لنادينكا. إنها تغلّفها بإتقان، وخطّ يدها مقبول أيضاً. — صورة مَن هذه؟

توني: هذه؟ إنه باسيوس نفسه.

هورتنس: (بلا مبالاة شديدة.) آه، هكذا.

توني: آه كم أحب ألحانه، حالية كأمسية صيف، ومنعشة كصباح شتوي. لا، لا بد أن أغنّي لحناً من ألحانه. لكن، ماذا، فلنرَ! (تركض إلى البيانو، تختار بين النوتات وتغنّي، وهي تعزف لنفسها: «صلوات سلام في سكون المساء» أو أي أغنية مناسبة أخرى من كلمات ز. توبيليوس وموسيقى ف. باسيوس. في هذه الأثناء تملأ هورتنس العلبة ببطء، مصغية باهتمام متزايد للأغنية. حين انتهى المقطع الأول، يُطلّ القسيس برأسه من الباب جهة يمين المشاهدين.)

القسيس: أيجوز الدخول؟

توني: (تسرع من البيانو إلى المنضدة.) لا، لا، لا! بابا العزيز! لا تأتِ الآن!

القسيس: هه، هه، لا أريد أن أُفزعك حتى الموت يا صغيرتي. سأذهب، سأذهب. (ينسحب.)

أصوات الأطفال: (تُسمع من الباب الأيسر، طارقين عليه:) توني! توني!

توني: صهٍ، هورتنس! ولا حتى حسيس فأر! أوه! أيها السادة الصغار، دعونا في سلام. الباب موصَد بإحكام. — والآن عاد الهدوء هناك.

هورتنس: (شاردة قليلاً.) كانت تلك الأغنية جميلة. ليتني أستطيع يوماً أن أسمع مدام نيلسون تغنيها.

توبني: أجل، أليست جميلة؟ لو تسمعين كم تنشدها أخواتي الصغيرات برقة. لكن ها قد جهزتْ طردك. آه، كم هو لطيف. شكراً، يا هورتنس الطيبة. (تكتب تحته بينما تتكلم:) هذه لسيدي أخي إدفين، الطالب الجامعي ومغنّي السيرينادات. لا تزال صورة باسيوس ناقصة في حجرته. (تكتب:)

«من العاصمة فنان بارع
لعلّه في جمع الفنّ دومًا،
لكن هنا في الريف سيف العبقري
يلقى رفيقاً بين الفينة والفينة
جمهوراً من نشارة الخشب.»

هورتنس: لا بأس بها.

توبني: الخاتمة استعرتها من رونيبيرغ. لكن ابقِ صامتة بشأن هذا. حين يُحاكمونني، سأُغرَّم على سرقاتي. — ها أنا قد وضعت كل هدايا العيد في أماكنها. — لألبرت — أجل، هذه هي — لا، تلك — وتلك لإدفين.

هورتنس: لكن، فكّري، لو لم يصل أخواك في الوقت المناسب. الساعة الآن الرابعة. لا أفهم كيف يمكنك أن تكوني هكذا هادئة. كنتُ سأموت جزعاً، وأقل ما يمكن أن أفعل هو أن أنشغل بمثل هذه الطفوليات كما تفعلين.

توبني: (بشيء من الجدية وبصوت مفعم بالمحبة.) سيأتيان إلى البيت حتماً. انظري، يا هورتنس، الخريف الطويل يعلمنا هنا في الريف الانتظار. حين يغادرنا هذان الولدان الحبيبان مع الصيف، يقول المساء للنول: «لنعدّ كل شيء لعيد الميلاد، حين يعودان إلى البيت.» — هذه هي سنتنا الصغيرة. كم تذكرتهما! مرحين، منفتحي القلوب، ودودين، وجميلين ومفتولي العضلات! ثم مقالبهما التي لا تُحصى، كيف يعبثان ولا يدعاننا في سلام قط. وكم تشرق شمس الشتاء بحنان من نوافذنا الصغيرة حين يكونان في البيت. (تفتح ألبومها.) انظري، يا هورتنس، هذا ألبرت، جندينا الباسل، ربما لا يزال مرحه أكثر مما ينبغي قليلاً، على ما أظن، لكني ما كنتُ لأريده على نحو آخر. إنه يتوهجّ فرحاً، ذلك الشقي ذو الشعر المجعّد. وهذا إدفين! الصيف خُلق لأجله. كم نجوب الأنحاء حينئذ! أحسب نفسي طالبة جامعية حين يكون هنا، — طبعاً، صغيرة، كفرخ لا يفهم شيئاً إلى جواره، لكن، أرأيتِ، الطائر يستمتع حين يسمعه يقصّ عن حياة الجامعة وعما يحبون ويتمنون.

هورتنس: كم أنت سعيدة، يا من لديكم إخوة! كم كان أخي سيكون ضرورياً لي في بطرسبرغ. حينما كان بابا يستطيع أحياناً ألا يرافقني إلى المسارح والملاهي الأخرى. إنه يتعب غالباً. (تقلّب ألبوم توبني.) وهذه، مَن هذه السيدة البدينة

في عباءة الحرير، بكل هذه الخواتم في أصابعها؟ كم تبدو خائفة.

توبني: (ضاحكة.) العمة بينا ليست خائفة أبداً، يا عزيزتي، لكنها جلست حينها أول مرة أمام المصوِّر، وشعرت أن اللحظة مهيبة جداً. تعرفين، العمة بينا في هاريالا، حيث سنذهب يوم القديس اسطفانوس. لن تصدقي كم الجو هناك مبهج – بالتأكيد أظرف مكان في الرعية كلها. سترين أننا سنرقص هناك حتى الرابعة صباحاً. (تنهض، وترتب هدايا عيدها في السلة التي تضعها جانباً.)

هورتنس: حتى الرابعة – –. (تتنهد في سرها.) كيف لي أن أحتمل كل هذا. ليت الأمر قد انتهى وحسب. (تهمّ بإغلاق الألبوم، لكنها تلحظ في اللحظة نفسها صورة فتنفجر بضحكة مرحة.) أوه، يا إلهي، يا له من دب! توبني، تعالي وانظري! يدان بهذا الحجم وبنظرة جادة هكذا. تعالي، يا توبني، انظري. من هذا الرجل غريب المنظر؟

توبني: (التي اقتربت فرحة، تقول بشيء من الاستياء والارتباك حين ترى الصورة.) هذا ابن عمنا، أوسكار بيرغ – كيف يمكنك أن تقولي هذا –.

هورتنس: (لا تزال تضحك.) لكن، أين هو إذن؟

توبني: إنه حارس الغابة في سافو، يا هورتنس الطيبة.

هورتنس: إذن، دب غابة حقيقي، يا توبني الصغيرة. أجل، لكن، حين ينظر المرء مليّاً، فهو ليس قبيحاً إلى هذا الحد.

توبني: (بسذاجة.) لا، إنه حقاً – – أجل، أليس يبدو ودوداً وطيباً! وهو قويّ جداً بشكل مرعب. أتعلمين، يا هورتنس، حين كان في الثانية عشرة وكنت في الثامنة، حملني مرة بين ذراعيه من هاريالا إلى هنا إلى بيت القسيس، حين سمع أنني متعبة. ألم يكن هذا لطيفاً منه؟ ليت يأتي إلى هنا في العيد، لترينه!

المشهد الثاني

السابقون. زوجة القسيس (تدخل من العمق، بمئزر أبيض.)

زوجة القسيس: هكذا يا فتاتيّ، الساعة الآن الخامسة والنصف، والآن عجينة الفطائر تستعجلني وتوبني.

توبني: حالاً، يا ماما الطيبة! (تبدأ بلملمة أغراضها.)

زوجة القسيس: حسنٌ، يا هورتنس العزيزة، يا أميرتي الصغيرة — أرجو أن نحظى بعيد ميلاد سعيد! (لتوني.) لا، قفي، يا تويني العزيزة. لتقم لوتّا بهذا هذه المرة. نحن سنقوم بتحويلة إلى عجينة الفطائر «الحقيقية»، حتى نكون جاهزين إن أتى الولدان. هكذا، انطلق! (تومئ زوجة القسيس مبتسمةً لهورتنس وتخرج مع تويني.)

المشهد الثالث

هورتنس (وحدها).

هورتنس: «إن أتى الولدان!» — كم هؤلاء الناس باردون ولا مبالون. أنا، بصراحة، أشد قلقاً من عمتي وتويني من أن تذهب كل استعداداتهما لاستقبال الصبيان هذا المساء سدى. والآن لديهما صبر ليخبزا الفطائر! حسنٌ، بالنسبة لي، سيكون هذا العيد مملاً، مهما حدث. آه، ليتني عدتُ إلى بطرسبرغ البهية المتألقة!

المشهد الرابع

هورتنس. مستشار الدولة. القسيس. (خارج المسرح).

القسيس: (في الخارج يميناً.) حسن، كما تشاء، يا عزيزي ياكو، كما تشاء أنت. سأحلق ذقني فحسب، وأكون جاهزاً بعدها.

مستشار الدولة: (في الباب يميناً.) لا تدعني أزعجك أبداً. سأؤمّن لنفسي صحبةً للحظة. (يدخل.) هورتنس العزيزة! ها هي صحبتي المفضّلة.

هورتنس: آه، أبي! وأخيراً عدنا وحدنا من جديد. لنتخيل أننا في بيتنا في بطرسبرغ.

مستشار الدولة: يا طفلتي الحبيبة. نحن تقريباً كما في بيتنا — عند عمك الطيب، الذي لم تريه منذ كنتِ طفلة صغيرة. نعم، الوقت يمرّ سريعاً. كنتِ حينها في الثانية، والآن انقضت خمسة عشر عاماً. هنا أشعر أنني صرت شاباً من جديد. كل شيء مألوف جداً: بيت القسيس، الجوار، أخي يشبه نفسه وكأننا افترقنا بالأمس. هذا بلد عزيز، سعيد، هذا الوطن القديم. أليس كذلك، هورتنس، ألستِ فرحة لأنكِ تقضين شهراً في فنلندا؟

هورتنس: آه، أنا كذلك، حين أراك سعيداً هكذا.

مستشار الدولة: لكن، يا صغيرتي، أظن أن شيئاً ما ينقصك. تبدين متعبة جداً. ألستِ بخير حقاً؟

هورتنس: أوه لا، لا شيء، لا شيء على الإطلاق.

مستشار الدولة: حينها لا ينقصني شيء في فرحي. هكذا، يا ابنتي العزيزة، أظهري الآن قليلاً من البهجة. ربما لا تزالين تشعرين ببعض الغربة هنا. لكن هذا سيزول سريعاً. حين نكون قد قضينا هنا شهراً، لن ترغبي بعدها في العودة إلى بطرسبرغ. أراهن أنك ستكونين قد تحولتِ بحق إلى فتاة فنلندية صغيرة.

هورتنس: آه، أبي، شهر، شهر كامل! ألا نستطيع أن نغادر أبكر؟

مستشار الدولة: طفلتي، هذا لا يليق. لقد طلبتُ بنفسي من أخي أن نبقى هنا هذه المدة، وأرى أن هذا يسعده حقاً، أن يستضيفنا أطول مدة ممكنة. هيّا، يا هورتنس الصغيرة! جبين صافٍ، عين فرحة، وقبلة صغيرة لأبيك. ألا تعلمين ما قد تجلبه لك ليلة العيد.

هورتنس: (تمدّ جبينها لأبيها ليقبّله.) أعرف أنك دوماً طيب وتدلل هورتنس حقاً.

المشهد الخامس

السابقون. القسيس.

القسيس: هكذا، لقد حلقتُ الآن نظيفاً كما لو كنتُ ملازمَ حرسٍ صغيراً، والآن، يا أخي إدفارد العزيز، نأخذ جولة اللعب على اللوح، بينما تعدّ النسوة لليلة العيد. آه، أنت هنا، يا طفلتي العزيزة. إذن لا بد أن تنالي قبلة الحلاقة من عمك العجوز، فهذا ما نقدمه هنا في الريف. (يقبّل هورتنس.)

مستشار الدولة: هيي، انظر فقط. هكذا بالضبط فعل الوالد، رحمه الله، بزوجتي الشابة، حين كنا هنا أول مرة. ها، ها، ها!

القسيس: أجل، أجل، الرجل يفي بوعده ويعطي ما يعد. (يضحك.) لكن أين زوجتي وتويني؟ لقد تركتاك وحيدة.

هورتنس: إنهما تخبزان الفطائر، يا عمّي الطيب.

القسيس: إذن دافعي عن نفسك، فأنت لم تتذوقي فطائر ألذّ منها في حياتك. والآن، يا أخي إدفارد، نذهب إلى لعبة اللوح.

مستشار الدولة: لن نتأخر كثيراً يا طفلتي، وبعدها — يأتي بابا العيد! (يقبّل جبينها، ويخرج السيدان يميناً.)

المشهد السادس

هورتنس. ثم نادينكا وأخيراً لوتّا.

هورتنس: لقد قبّلني على فمي! كم هذا مروّع في هذا البلد. سأرى إن كنتُ سأحظى بقبلة الحلاقة من ابني العمّ أيضاً، حين يأتيان. آه، كم ستطول هذه الليلة. كم حلّ الظلام باكراً. الآن يتلألأ شارع نيفسكي بضوء الغاز، الأجراس ترنّ، الزلاجات تنساب، المتاجر تشعّ، وكائنات رقيقة تروح وتجيء. أوه، هذا مروّع مع ذلك! كيف يمكن لأبي أن يكون سعيداً هنا! وهو يبدو سعيداً جداً. إنه يتوهج فرحاً. حسناً! دعه يستمتع بسعادته كاملة. سأضحّي بنفسي. سأبتسم، حتى لو كادت عجائن الفطائر وقبل الحلاقة هذه أن تخنقني. (تنادي.) نادينكا!

نادينكا: (تدخل.) ماذا تأمرين، يا آنستي المعظمة؟

هورتنس: نادينكا! أنا تعيسة جداً. نحن كما لو كنا سجناء هنا. لكني سأبدو سعيدة، وآمرك أن تفعلي المثل. لا ينبغي لأبي أن يشكّ في ألمي.

نادينكا: أنت طيبة، كقديسة السماء، طيبة، كما كنت دوماً.

هورتنس: صهٍ، لا كلمة بعد. — أشعلي الشموع في حجرتي.

نادينكا: هناك ضوء أكثر مما ينبغي، إنها تشعّ حقاً من النور، — ولكن كم هو فقير مع ذلك، وبلا ذوق أبداً. خادمة البيت أحضرت للتو شمعتين إلى طاولة الزينة، وشمعتين إلى طاولة الديوان، وشمعتين إلى طاولة الحياكة، وشمعتين إلى جانب الموقد، وأشعلت أيضاً الثريا ذات الشعبتين في السقف. قلتُ لها إن آنستي المعظمة لا ترتضي إضاءة بهذا السطوع في حجرتها، لكنها ضحكت وقالت إنه العيد الآن. أتأمرين الآنسة أن أطفئ بعض الشموع؟

هورتنس: لا، دعيهم يحترقن. أبي بالتأكيد لن يسرّه أن يرى غير ذلك. اذهبي وضعي على طاولة الديوان في حجرتي ذلك الكتاب الذي بدأتُ قراءته اليوم. سألحق بك.

نادينكا: كما تأمر الآنسة. (تخرج.)

لوتّا: (تدخل حاملة صينية مملوءة بشموع مضاءة، تضعها خلال الحديث التالي في أماكن مناسبة في الغرفة.)

هورتنس: (في سرها.) الآن ستبدأ إضاءتي هنا. لا أحتمل هذا. (تهمّ لتلحق بنادينكا.)

لوتّا: سلام الرب، يا آنستي العزيزة، عيداً بهيجاً وسعيداً. لقد جلستم هنا في شبه ظلام في ليلة العيد نفسها، لكنني لم أستطع الحضور قبل الآن.

هورتنس: (تقف وتتأمل لوتّا.) لا ضرر من هذا يا صديقتي. فسيكون المنظر الآن أكثر أبهة.

لوتّا: أبهة بقدر ما يستطيع البيت. ينبغي أن يرى أهل القرية حقاً أننا نحتفل بعيد الميلاد البهيج.

هورتنس: (عند النافذة.) الظلام شديد في الخارج. الأكواخ الصغيرة هناك لا يشعّ منها أي ضوء. كل شيء حالك، وحيد جداً ومخيف جداً. ترى أين الناس؟

لوتّا: (ضاحكة.) في حمّام العيد غالباً، لكن تلك الأكواخ لن تزداد إضاءة كثيراً قبل أن تتحرك آنستنا. المساكين! إنهم فقراء لدرجة أنهم لا يلاحظون فرقاً بين ليلة العيد وليلة عادية. (عند النافذة.) اسمعوا كيف يئزّ الجليد. ستكون ليلة عيد باردة. (تخرج، آخذة معها سلة هدايا العيد الخاصة بتويني.)

هورتنس: (تنصت.) كم يتردد ذاك الدويّ البعيد بقوة ورعب في الليلة البهيمية. والمسافرون المنتظرون، أين تراهم يكونون؟ ربما تائهين، لا يجدون الطريق. لكني سأضع لهم منارة. (تضع شموعاً على النافذة.) هكذا، المزيد من الشموع. إنها منخفضة جداً. (ترفع شمعة عالياً وتضيء نحو الخارج.) الآن الضوء يُرى أفضل! كم أنا قلقة. ألا يمكن أن يُرسل أناس لاستقبالهم؟ — وهم يخبزون الفطائر في المطبخ!

لوتّا: (تدخل حاملة سلة كبيرة مغطاة، تضعها عند الباب في العمق.)

نادينكا: (تأتي.) آنستي المعظمة، لقد وضعت الرواية على الطاولة.

هورتنس: (دون أن تلاحظ لوتّا.) بسرعة، بسرعة، نادينكا! (تعطيها شمعة.) خذي هذه وواحدة أخرى وارفعيهما عالياً قدر ما تستطيعين، لئلا يضلّ المسافرون.

نادينكا: (مطيعة الأمر.) من كان ليظنّ هذا!

لوتّا: (التي كانت تراقبهما.) بارك الله في آنستي الصغيرة. أيها الأطفال الأعزاء، سيجدان طريقهما إلى البيت حتماً، هذان الولدان الشجعان.

هورتنس: خطر لي — — لا يهم — — ضعي الشموع جانباً يا نادينكا! (في سرها.) كيف تجرؤ هذه العجوز على الكلام هكذا!

لوتّا: نجمة العيد في كل قلب، وتضيء لنا الطريق إلى البيت هذه الليلة. — أتودّين يا آنسة أن تلحقي بالآنسة تويني؟

هورتنس: إلى أين؟

لوتّا: إلى الأكواخ هناك وحسب. إنها تريد دوماً أن تحمل بنفسها هدايا العيد من بيت القسيس إلى الناس.

هورتنس: في هذا الظلام؟ فيمَ تفكر! كيف تجرؤ على الخروج في هذا الوقت المتأخر؟

لوتّا: من قد يرغب في إيذاء تلك الفتاة الطيبة.

هورتنس: لكن لمَ لا ترسل أحداً آخر ليحمل هداياها؟

لوتّا: حينها لن يحلّ العيد الحقيقي في تلك الأكواخ المظلمة. أخمن جيداً كيف سيتذمرون حينئذ. لقد تعودوا رؤيتها تجلب لهم العيد وبركته البهيجة. (يُسمع رنين أجراس.) زلاجتها تُساق الآن إلى الأمام. (تخرج لوتّا.)

هورتنس: ما هؤلاء الناس بناس حقيقيين. إنهم لا يخافون شيئاً ويرهقون أنفسهم كالعبيد حتى حين ينبغي لهم أن يفرحوا.

نادينكا: ترى ما الخير في تلك السلة. (ترفع الغطاء الذي يغطي السلة.) في جهة شموع شحمية رفيعة — انظري، هنا بعضها بثلاث شعب. كم هذا مضحك! وفي الجهة الأخرى كعكات قمح، وبعض الكتب البسيطة وأشياء صغيرة أخرى. يالها من هدايا نادرة. كلها لا تساوي خمس روبلات.

هورتنس: (دون أن تنظر نحو السلة.) أحضري لي معطفي الفرو! سأذهب معها. (تجلس جانباً، تأخذ كيس نقودها، تفرغ محتواه في يدها وتعدّ النقود.)

نادينكا: فيمَ تفكرين، يا آنستي المعظمة؟ في هذا الظلام، في هذا الصقيع.

هورتنس: سمعتِ ما قلت.

نادينكا: أطيع، يا صاحبة السمو. (تخرج.)

هورتنس: نجمة العيد لم تضئ قط في قلبي. أنا وحدي لن أجد الطريق الصحيح إلى البيت. ربما لن أجده أبداً في العالم الفسيح. لكني أريد مرة أن أراها تضيء في قلوب الآخرين.

المشهد السابع

هورتنس. مستشار الدولة.

مستشار الدولة: والآن يا ابنتي العزيزة، أنا لك طوال المساء. كيف قضيت وقتك؟ لكن يبدو عليك الانفعال الشديد!

هورتنس: (لا تستطيع أن تكبح نفسها أكثر، ترتمي في حضن أبيها وتنفجر قائلةً.) آه، أبي! دعنا نرحل غداً من هنا! شيء ما هنا يخنقني، الهواء، الظلام، الصقيع، كل شيء، لا أدري ماذا. لا ترفض طلبي. اختلق سبباً مهماً لرحيلنا المفاجئ، لا يهم أي سبب. لكن دعنا نرحل، دعنا نرحل!

مستشار الدولة: هورتنس العزيزة، اهدئي! لا أفهمك. تعلمين أنه مستحيل عليّ أن أسافر قبل مرور شهر.

هورتنس: بعد شهر سأكون مريضة، إن أجبرتني على البقاء هنا. لا، غداً أو بعد غد! لا ترفض يا أبي. أتوسل إليك بكل إخلاص.

مستشار الدولة: هورتنس — هل أنت مريضة؟

هورتنس: نعم، لا، كما تشاء. لكن دعنا نرحل سريعاً، سريعاً.

مستشار الدولة: إنك تفزعني حقاً، رغم أني لا أفهمك. لم أرك هكذا قط. هيّا، يا هورتنس الصغيرة، قولي بصراحة. قولي لي كل شيء! ما سببك؟

هورتنس: آه، لا أعرفه حتى نفسي. (يُسمع رنين أجراس.) لكني هنا مختنقة جداً، خائفة جداً، أخاف من الجميع، من كل شيء، بل وأظن من نفسي أيضاً. صهٍ يا أبي! (تُسمع أصوات فرحة من الخارج.) إنهم يأتون. لا يمكننا أن نبقى وحدنا أكثر. عدني بما طلبته منك. قل: أعدك، يا أبي! أنت لا تعرف كم أحبك.

مستشار الدولة: طفلتي الوحيدة الحبيبة! هكذا، كوني هادئة. سنرحل غداً. هل أنت راضية الآن؟

هورتنس: أبي العزيز! شكراً، شكراً! (تقبّل يده.) لا تقل كلمة واحدة عني. أنت تفهم. هدوء، إنهم يأتون.

المشهد الثامن

السابقون. القسيس. زوجة القسيس. تويني. ألبرت. إدفين. لوتّا. ثم نادينكا.

(يدخل ألبرت وإدفين في حديث مرح مع والديهما؛ ألبرت واضعاً ذراعه حول خصر زوجة القسيس، إدفين يتحدث مع القسيس. تويني بملابس السفر ترفع السلة من عند الباب جانباً. لوتّا تأخذ آخر أغراض السفر من المسافرين.)

لوتّا: (بألفة خادمة البيت العجوز.) أهلاً ألف أهلاً وسهلاً، أيها السادة الشباب. وكل هذه الأمتعة التي معكما! لا ينقص شيء، باستثناء عروس شابة واحدة. الثانية متوفرة هنا.

ألبرت: آه، ابنة العم هورتنس، أليس كذلك؟ يا للهول، كم كبرتِ! الآن سيحلّ عيد ميلاد ظريف. مساء الخير، يا عمّي العزيز! شديد الشبه بأبي العجوز، ذاك الشيخ الطيب.

مستشار الدولة: مساء الخير، أيها الولدان. مفتولان، باسلان! الواحد ملازم بأحسن حال —

ألبرت: الرب يحفظ العمّ!

مستشار الدولة: — والآخر طالب جامعي. أتعلم، يا ياكو، لا يمكنك أن تشيخ، حين تخفق بجانب قلبك قلوب شابة بهذا العدد.

القسيس: الحمد لله، الشباب لا ينقص هنا، والآن صغيرتي هورتنس هنا أيضاً، وسأسمع قلبها الشاب يخفق أيضاً لشهر بهيج بجانب قلب عمها العجوز.

هورتنس: (بهدوء.) عمّي العزيز!

مستشار الدولة: (مقاطعاً.) أجل، أجل، أتمنى ذلك — لكن — (لإدفين.) حسن، هل قابلت في هلسنكي ابن عمك أوسكار، حارس غابتنا الشاب؟ لقد كان هناك في زيارة، هذا الشبل الدب. لمَ لم تصطحبه معك إلى هنا، فتكتمل العائلة كلها هنا؟

إدفين: كان عليه أن يسافر في تلك الأثناء إلى موطنه في منطقته، لكن، يا عمّي الطيب، إن لم تخبر الجهات العليا المختصة،

يمكنني أن أفضي إليك بسرّ، أن شبل دبّ ما يهرول الآن على طرق سافو، كي يرقص، بهدوء تام طبعاً، يوم القديس اسطفانوس معنا في هاريالا. لكن لا تقل شيئاً للفتيات. توبني تخاف قليلاً من هذا الدبّ.

توبني: أنت الآن تثرثر كثيراً، حتى أنك تنسى أنني واقفة مستعدة للانطلاق في رحلة العيد الصغيرة.

إدفين: رائع أننا وصلنا في وقت مناسب. سنتبعك، وهورتنس بالتأكيد ستأتي معنا! أيمكنني أن أقود حصانك؟

هورتنس: شكراً، يا إدفين.

نادينكا: (دخلت للتو بمعطف فرو هورتنس وتبدأ بمساعدتها على ارتدائه.)

مستشار الدولة: أتذهبين معهم، يا هورتنس الصغيرة؟

نادينكا: (بأسى.) آه، أجل، يا صاحب السمو.

مستشار الدولة: (بهدوء لهورتنس.) أنت طيبة، يا طفلتي العزيزة. أنت تشبهين أمك التي فارقتنا. سأحاول في غيابك أن أرتب كل شيء.

هورتنس: (بخضوع.) أبي الغالي.

ألبرت: (ينظر حوله.) من الجميل أن نرى كل شيء هنا كما كان: شجرة العيد هناك، مفارش العيد على الطاولات، الشمعدانات الفضية في أماكنها، الزوج رقم ١، رقم ٢، ورقم — — لا، انظروا، إنها على النافذة، هذا شيء جديد في بيت القسيس، يا لوتّا الطيبة!

نادينكا: (تنقلها بعيداً بناء على إشارة من هورتنس.)

لوتّا: (بهدوء لألبرت.) لا تُظهر أنك تعرف. في الدهليز سأخبرك كيف جرى الأمر.

ألبرت: آه!

زوجة القسيس: (لابنيها.) ألم تشعرا بالبرد في الطريق؟

ألبرت: دافئ جداً، يا أمّاه الحبيبة، كما لو كنتِ أنتِ قد لففتِ الأغطية حول صغارك الصغيرين الصغيرين. آه، هكذا، يا توبني، أنت مستعدة. سأكون فارسك، بما أن إدفين سيختطف ابنة العم هورتنس. لكن المعذرة، لحظة فقط. (بمكر.)

بابا الطيب، لا بد أنك نسيت أن تقدمني إلى هم-هم.

القسيس: لِمَن بحق السماء؟

ألبرت: (بجدية مصطنعة ومشيراً إلى نادينكا.) لهذه السيدة — — —

القسيس: هذه نادينكا، وصيفة هورتنس. والآن اذهب في حال سبيلك، أيها الثرثار.

ألبرت: (ينحني بتكلّف لنادينكا.) آه، احترامي العميق!

(يتبع الشباب الذين خرجوا قبلاً. تلحق بهم لوتّا.)

نادينكا: (مغتبطة، في سرها.) ثم يقول شيئاً كهذا على مسمع الجميع. — لكنه وسيم. (تخرج يميناً.)

المشهد التاسع

القسيس. زوجة القسيس. مستشار الدولة. ثم لوتّا.

مستشار الدولة: شباب خالي البال، أيها الأصدقاء الأعزاء! إنهم ما كنا نحن عليه، وسيصيرون ما نحن عليه الآن. (يجلسون حول المنضدة. يُسمع رنين أجراس المغادرين.) أختي العزيزة، نحن — باحتساب وصيفتنا المتأنقة — نسبب لك بعض الإزعاج في بيتك الصغير البهيج، لكن أخي وأختي، لا تُظهرا أنكما تلاحظان. تفهمان طبعاً كم هو عزيز عليّ أن أراكم من جديد، أنتم ووطني.

زوجة القسيس: أخي العزيز، أتمنى لو أن كل زاوية في بيتنا الصغير تظهر لكما كم أنتما مرحّبٌ بكما.

القسيس: وتقول لكما كم سنفتقدك وابنتك العزيزة يوماً ما.

مستشار الدولة: هورتنس الصغيرة المسكينة! لقد فقدت أمها وهي في الثالثة. ومنذ ذلك الحين، اضطررت لتركها بين أيدٍ غريبة، ولو في بيتي أنا. كم كنتُ أتمنى أن أراها بكل ما في أمها من صفات، تلك المرأة الفنلندية البسيطة، الوديعة، طيبة القلب. روح هورتنس صافية ونقية كالينبوع، لكنها تعكس، كالينبوع، ما يحيط بها. الآن، وقد نضجت لتصبح امرأة، أخشى تلك الصور التي تحيط بها في صخب العالم، لكني لا أملك الشجاعة، في خريف عمري، أن أحرم نفسي من صحبتها الدائمة.

القسيس: إني أفهم ما يدور بخاطرك. لم يكن لهورتنس هناك بيت حقيقي ولا وطن. لكن لديها كبرياء حقيقية، وهي نبيلة، وبعون الله ستبقى كذلك.

زوجة القسيس: (تعبث بمفرش الطاولة.) لكنها ليست سعيدة.

مستشار الدولة: أجل، ليست سعيدة — ومن أجل سعادة طفلتي أضحّي بكل شيء. مرفئي هناك في البعيد كان ذكرى بلادي، وحب وطني. هذا ما أريد أن أمنحها إياه كأفضل إرث مني.

زوجة القسيس: والحب الصادق يمكنه أن يصنع المعجزات.

مستشار الدولة: مثل هذا الحب قلّما يصادف في العالم الكبير. المرأة التي لم تُمنح هذه السعادة، تحتاج حينها إلى شيء أقوى من العواطف الأرضية، لئلا تكون بلا جذر في هذا العالم — كزهرة رائعة مقطوفة.

(يُسمع طرق الأطفال على الباب ثانيةً، يصرخون:) تويني! تويني!

زوجة القسيس: (تذهب إلى الباب.) تويني في القرية، يا أطفال طيبون. انتظروا بهدوء لحظة أخرى، وسيأتي بابا العيد. (تذهب إلى باب العمق.) لوتّا!

لوتّا: (تدخل.)

زوجة القسيس: ربما حان الوقت لإضاءة شجرة العيد. (تساعد زوجة القسيس لوتّا في نقل الشجرة إلى منتصف الأرضية وإضاءة شموعها.) المعذرة، يا أخي. الصغار يعرفون وقتهم في ليلة العيد. لكن يمكننا أن نستمر في حديثنا بشكل طيب. ربما شموع العيد، التي تعرف كيف تحكي للصغار الكثير، تستطيع أن تحدّثنا نحن الكبار بشيء أيضاً.

القسيس: هل علّمتِ هورتنس منذ الصغر أن فنلندا هي وطنها؟

مستشار الدولة: بلى، لكن الصور التي تلقتها عن وطنها كانت بلا روح. إنها نقوش خشبية ميتة، وأخشى أن الواقع، الآن وقد رأت فنلندا بعينيها، لا يطابق الصورة الباطنية.

لوتّا: (تعمل عند شجرة العيد.) أعطوا العين وقتاً لتعتاد. حين يرى الطفل للمرة الأولى شموع العيد تشعّ، يندهش من ذاك الضياء الغريب فيلتفت بعيداً للحظة، لكنه يحدّق بعدها طوال المساء في الشجرة الجميلة، التي لا تغيب عن ذهنه بعدها أبداً.

مستشار الدولة: آه، وقتنا هنا قصير جداً، وإذا لم تعتد هورتنس خلاله على ما يحيط بها —

لوتّا: لديها عيون في القلب، بتلك العيون ترى أولاً، وهي تُفزع روحها المتكبرة.

مستشار الدولة: كيف تعتقدين، يا لوتّا، أنك تعرفينها جيداً هكذا؟

لوتّا: العجوز رأت أمها الراحلة، ذاك الملاك، حين كانت صغيرة، وترى الآن أن ابنتها، الطفلة المسكينة، تخاف من نفسها. أنا أعرف تلك العيون السامية النبيلة.

(يصرخ الأطفال خلف الباب:) ألم تحن ليلة العيد بعد؟

لوتّا: انتظروا قليلاً، يا أحبائي الصغار، مجرد لحظة. بابا العيد لا يزال يطوف في القرية. (يُسمع رنين أجراس.) ها قد أتى الشباب.

مستشار الدولة: (ينهض ويقول في سره.) ولم أتمكن بعد من قول ما وعدت به هورتنس.

المشهد العاشر

السابقون. هورتنس. تويني. ألبرت. إدفين (من العمق). نادينكا (من اليمين).

هورتنس: (تسرع إلى أبيها تاركة معطف الفرو يسقط من كتفيها.)

نادينكا: (تأخذ معاطف الفرو وتقول وهي تحملها بعيداً:) آنستي المسكينة!

مستشار الدولة: (يقبّل جبين هورتنس.) أهلاً بعودتك، يا هورتنس! لكني أظنني أرى دموعاً في عينيك الجميلتين. لقد تأثرتِ من ذاك البؤس الذي رأيتِ.

هورتنس: (بهدوء.) رأيت ما يكفي — يكفي لكامل حياتي.

مستشار الدولة: اهدئي، يا طفلتي، أظهري البهجة هذه الليلة. سنرحل غداً يا هورتنس.

هورتنس: حنانك يعاقبني يا أبي. سأذكر هذه الليلة دوماً. (تذهب إلى العمق وتعطي نادينكا قلنسوة الفرو خاصتها.)

ألبرت: (بهدوء للوتّا.) لقد أرادت أن تضيء طريقنا إلى البيت بالشموع، قلتِ؟ لو رأيتِ نظراتها الآسرة في الأكواخ

الفقيرة، لكنتِ رأيتِ الضياء. لقد ظنّت أن لا أحد يراها حين كانت تخفي قطع الذهب بين هدايا توبني البسيطة. لا تخبريها أبداً أن عيني تتبعت يدها الرحيمة. ستصبح نجلة مني حينها، ويا لوتّا الطيبة، ينبغي ألا تصبح تلك الفتاة هكذا أبداً. (يبتعد.)

(تقوم توبني وزوجة القسيس بآخر الاستعدادات لشجرة العيد. — يسير مستشار الدولة حائراً ومضطرباً قليلاً في الطرف الآخر من الصالون. القسيس يتحدث مع إدفين وألبرت.)

هورتنس: (تذهب إلى لوتّا.) لقد كنتِ على حق، يا لوتّا، لم يكن الظلام شديداً في الخارج. السماء كانت مرصعة بالنجوم، وعلى كل جانب كان بيت القسيس يشعّ بجمال في ضوء شموع عيدك. (لا تزال مترددة، وبخضوع يكاد يكون تذللاً.) هل كان الأمر هكذا حين أمضت أمي العيد عندكم؟

لوتّا: بارك الله في ذاكرتكم الطيبة! أجل، آنستي الطيبة، تماماً كما ترينه الآن بثوب عيده القديم، كان بيت القسيس أيام جدكم وفي المرة الأولى والوحيدة التي زارتنا فيها أمكم ومعها ابنتها الصغيرة على ذراعها.

هورتنس: (تحني رأسها.) تلك كنتُ أنا —

لوتّا: (بعد صمت للحظة.) أنتم تشبهونها جداً لدرجة أن — —

هورتنس: (كما لو كانت في حلم، تنظر إلى شجرة العيد.) من أين يأتي هذا التذكار — — أحسبني أراها — — سلسلة ذهبية رقيقة في عنقها — آه يا أمّاه الغالية! أنت تنظرين من العلا نحو طفلتك التي أحببتِ.

(انسحبت لوتّا جانباً. يأخذ ألبرت إدفين إلى مقدمة الخشبة.)

ألبرت: (بهدوء لإدفين.) ماذا قالت لك هورتنس في الطريق، حتى بدت مهيبة هكذا؟

إدفين: ماذا قالت لي؟ لا أذكر حقاً، لكني أظن أنني أنا تحدثت عن لونروت، سنلمان، ورونيبيرغ.

ألبرت: همم! — — ممتع جداً لفتاة بطرسبرغية في السابعة عشرة. وماذا قالت لذلك؟

إدفين: لا أدري، لكنها كانت تصغي بخشوع شديد، حتى أنني الآن فقط ألاحظ أنها لم تقل كلمتين طوال الطريق.

ألبرت: ومع ذلك فأنا الملقّب بثرثار العائلة، وأنت تُترك على هواك! (يستدير على عقبيه.)

(يصرخ الأطفال من غرفتهم:) توييني! توييني! ألم تعودي بعد؟ أتعلمين، لا نستطيع أن ننتظر العيد أكثر!

توييني: حالاً، يا أخواتي الصغيرات. على بابا العيد أن يدخل أولاً!

مستشار الدولة: (متشجعاً.) لكن قبل ذلك، يجب عليّ، ولأسفي الشديد — —

القسيس: ماذا، يا أخي العزيز؟ لم يحدث مكروه، أرجو؟

هورتنس: (مقاطعة، بخجل، لكن ورأسها مرفوع.) عمّي، عمتي، توييني! لقد وعدني أبي بهدية عيد ثمينة، لكن الجزء الأكبر منها يجب أن تهدوه أنتم لي —

زوجة القسيس: موافقتي تنالينها مسبقاً.

هورتنس: (ممسكة بيد أبيها وناظرة إليه وحده.) لا يكفي أنني طلبت منه أن أبقى هنا شهراً. أريد أن أغري أبي كي يأتي في العيد القادم أيضاً، ليُحضر ابنته الفنلندية الصغيرة إلى هذا البلد، الذي صار عزيزاً عليها جداً!

مستشار الدولة: طفلتي العزيزة، العزيزة!

القسيس: أهلاً بكما، متى تأتيان!

زوجة القسيس: (مقبّلة وجنة هورتنس.) أهلاً بك عند أمك!

ألبرت: (يقبّل يد هورتنس.) وعند بابا العيد خاصتك، يا عزيزتي هورتنس، فهذا ما سأكونه هذه الليلة! (يركض إلى العمق.)

لوتّا: (تلبسه بسرعة زي بابا العيد.)

توييني: (تفتح باب غرفة الأطفال.) الآن حلّ العيد!

(يركض الصغار إلى الداخل، يتوقفون، ينظرون بذهول إلى شجرة العيد وإلى بابا العيد. ترفع هورتنس أصغر الأطفال بين ذراعيها وتريه شجرة العيد.)

(الستار.)

*** النهاية ***

ختام المسير

وفي الختام، نحمد الله عز وجل أن وفّقنا لإتمام هذا العمل المتواضع في تعريب هذه المادة التي نقلناها عن مشروع غوتنبرغ لأهميتها، سائلين إياه أن يجعله لبنة مباركة تضاف إلى صرح المعرفة العربية، وأن يسهم في إثراء المكتبة العربية بنفائس العلوم العالمية.

هذه الكتب المترجمة في مجالات الفيزياء والأنظمة المعقدة والأدب الكلاسيكي والفلسفة والتاريخ والقانون، والتي نقلتها الدار عن مشروع غوتنبرغ لأهميته، تمثل خطوة على درب طويل نسعى من خلاله إلى رد الجميل للغتنا العربية، وتذليل الصعاب أمام طلاب العلم والباحثين للوصول إلى أحدث المصادر المعرفية بلغتهم الأم.

نسأل الله التوفيق والقبول، وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من سلك طريق العلم والتعلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

صهيب إسماعيل أحمد إسماعيل (صهيب هرتز)

محمد أبو خليل محروس (محمد محروس)

مشروع إثراء اللغة العربية

دار صهيب هرتز للنشر

suhaib2018078@science.sohag.edu.eg

muhamedabukhalilae@gmail.com

معرف أوركيد: https://orcid.org/0009-0009-6904-2827

المُعرِّف الدولي الموحد (ISNI): https://isni.org/isni/0000000530269139

معرف ويكي بيانات: https://www.wikidata.org/wiki/Q89192873

رابط التوثيق الرقمي (Zenodo): https://doi.org/10.5281/zenodo.20837588